من مقامات النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية

The Place of Prophet Mohammed (Pbuh) in Nahj Al-Balaghah

أ. د. سالم يعقوب يوسف السلمي

جامعة البصرة

كلية التربية للعلوم الإنسانية

Prof. Dr. Salim Yacoob Yousif Alsulami

University of Basrah

College Of Education For Human Sciences

ملخص البحث

يدرس بحثنا الموسوم ب (من مقامات النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في نهج البلاغة، تلك المنزلة والمرتبة العالية في نفس أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)، إذ كان (صلى الله عليه وآله وسلم) المثل الأعلى الذي يقتدي به أمير المؤمنين (عليه السلام) ويمده في العزيمة على العمل والتصميم، وسيرته في الحياة، بما كان يهون عليه ما ينزل أو يحل به من المصائب والمحن فتصغر في عينه هذه الأهوال والرزايا، وهو يواجه تلك الفتن بنفس صابرة محتسبة ومطمئنة؛ لأنه يرى أن الإسلام هو الشيء الأساس في حياته، فجاءت خطبه ورسائله وأقواله متضمنة ومذكرة بسيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) واصفة له في قيادة الحياة، وامتداد بعثته المطهرة في الزمان والمكان.

عالج البحث تلك المقامات التي كانت مشعة في النص الشريف؛ فجاءت هذه الشخصية العظيمة مؤثرة وموصلة لكلامه في نفس المتلقي، وهي من أعظم وسائل الإقناع وأجلها، وتمتد امتدادًا واسعًا في كلام أمير المؤمنين في نهج البلاغة، ولا يمكن أن يحيط بها بحث، ولذا اقتصر هذا البحث على بعضٍ من جوانب هذه المنزلة والمقامات التي ازدان بها النص الشريف. وانصبت الدراسة على اتباع التحليل اللغوي في إبراز الدلالة عن طريق رصد القرائن اللغوية في نسيج النص وأنساقها، ومحاولة الوقوف على بعض من بلاغته وبيانه.

Abstract

The current research tackles the high esteem with which The prince of Believers (Pbuh) held prophet Mohammed (Pbuh). Prophet Mohammed was the role model and perfect example for Imam Ali from whom he learnt determination and hard work. Prophet Mohammed used to comfort Imam Ali and console him in the times of hardships and crises. Therefore, Imam Ali faced all the difficulties and troubles with patience and composure, having unshaken faith that Islam was the core of his existence. In his sermons and speeches, Imam Ali kept Prophet Mohammed in constant mention, reminding people of the prophet's life and the temporal and spatial trajectory of his sacred mission.

The present paper discusses the important place Prophet Mohammed occupied in these sermons, a place that is marked by its power and nobility. The readers/ listeners of all times and places are most impressed by the way Imam Ali described Prophet Mohammed whose life and works, as elaborated on in Imam Ali's sermons, inspire admiration and reverence. The research focuses on only a few of the references to Prophet Mohammed in Nahj Al-Balaghah since they are too many to cover in one single study.

المقدمة

أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي لا يزداد يقينًا وإيمانًا بالله تعالى حتى ولو كشف له الغطاء، ولا ينقص منه قيد شعرة حتى ولو اشتدت في وجهه الخطوب والمصائب، لأن قلبه امتلأ إيمانًا، وفاض به على الوجود، فهو مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حقيقتان لا يعرفهما إلا الله تبارك وتعالى، كما أُثر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم).

وهو يعبد الله تعالى عن بصيرة وكأنه يراه، لذا فقد أفنى ذاته في جنب الله، لا تأخذه فيه لومة لائم، شديد البأس رحيم القلب، عركته المواقف فوقف أمامها جبلًا شامخًا صلبًا، تفتت عليه تلك الرزايا والشدائد، فأصبحت رمادًا تذره الريح، وهو مفرج الكرب عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى استقام الإسلام، واشتد عوده في أيام حالكات شديدات حتى جاء نصره وفتحه المبين لعباده المؤمنين، وقد كان هذا نهجه إلى آخر حياته الشريفة مكافحًا ومجاهدًا مما يتعرض له الدين الحنيف من الأمْتِ والعوج والزيغ والانحراف مجاهدًا بالسيف والكلمة.

كان هدفه الذي يصبو إليه هو إعلاء كلمة الله، وطمس كلمة الشيطان، إذ جاء كلامه الشريف من الخطب والكتب والرسائل في جميع منازلاته، ومواقفه مع الآخر تنبض بأساليب البلاغة والبيان العربي، وبأرقى مراتب النظم والتعبير، لما فيها من الرصف والسبك والرصانة والفصاحة.

لقد طُبع كلامه الشريف بطابع غلب عليه تنزيه الله سبحانه وتمجيده وتوحيده، والخوض بشرح العقيدة الحقّة، والشريعة السمحة، والمعارف العالية الدقيقة فيها، واقترن ذلك بذكر الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبيان مكانته ومنزلته ومقامه الشريف

الذي بوّأه الله سبحانه في الدار الأولى والآخرة.

أردنا عن طريق كلامه الشريف الذي جاء في النهج المبارك أن نقف على تلك المقامات الشريفة للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإبراز المستوى الرفيع عند الله سبحانه، وكذلك في نفوس الأمة، ودوره في إصلاح الحياة جمعاء، من طريق مستويات الكلام وسبكه وربطه، والدلالات التي يخرج إليها، والتوصيل المتمثل بوسائل الإقناع، وكذلك أردنا أن نحلل الخطاب الشريف في هذه المقامات الرفيعة.

تنزيه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإظهار منزلته:

كثيرًا ما نجد في كلامه الشريف أنه (عليه السلام) يبتدىء بذكر الله سبحانه من خلال ألفاظ الحمد والثناء، وعبارات التوحيد والتمجيد، والخوض في مسائل العقيدة، ثم يعمد إلى إقران ذلك بتنزيه رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبيان منزلته ومقامه، وتعدّ هذه مقامات ومفاتيح للكلام يفتتح بها (عليه السلام) خطبه؛ لأنها تنبئ عن حقيقة يظهر فيها تعلق نفس الإنسان بخالقه، وأداء شيء من الاستحقاق تجاه خالقه سبحانه، وتجاه صاحب الرسالة الحقة، وفيها طمأنة للمتلقي وتحفيز على إقناعه في الإقبال على ما يقوله وتهيأة نفسه إلى ذلك، أو أن هذه المنتجات تعرب عمّا سيأتي من مضمون الكلام الذي سوف يلقاه المنتج.

ترى الدراسات الحجاجية أن المتكلم يكون على قدر كاف من الإدراك لحال المتلقي بما عنده من تصورات وأفكار، وبما يصدر عنهم من ردود أفعال لأفكار المتكلم، فيحرص على تضمين ذلك في مطالع الكلام ومقدماته، كما جاء في خطبة الإمام (علي بن الحسين) زين العابدين (عليه السلام) في الجامع الأموي

بدمشق في مجلس يزيد، وهو في حالة المرض والنصب والتعب والرزية التي هو فيها، فقد فاجأهم بمقدمة اهتزت لها مشاعرهم، وغيّرت أفكارهم، وكاد الأمر أن ينقلب على يزيد، إذ بدأ خطبته بحمد الله وتنزيهه، وذكر جدّه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والثناء عليه، وذكر ما خصّ الله به أهل بيته الكرام من منزلة وكرامة، وقربى[1].

وأمّا في خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد منصرفه من صفين فبدأ خطبته بحمد الله وهو أرجح ما وزن، كما جاء في النص عطف على ذلك شهادته بالوحدانية، شهادة خالصة وصفها بأوصاف تطمئن إليها نفسه، ولكي تكتمل الشهادة قرنها بالشهادة في الرسالة الحقّة التي بلّغها (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجهر بها وتحمل من أجلها ما لم يتحمله الرسل من قبله حتى أظهره على الدين كلّه، وقد آتاه المقام الرفيع، ومنحه الدرجة العالية، وقرّبه منه فجعله حبيبًا، فجعل ذكره في الشهادة أمرًا مفروضًا لا تتم إلّا بذكره، ويعلم أمير المؤمنين (عليه السلام) مكانة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومنزلته عند الله، إذ إنه يقرن طاعته ومعصيته بطاعة الله تعالى ومعصيته، وهذا ما نهج عليه القرآن الكريم في مواطن عدّة.

وهذه الشهادة ذات قيمة عليا في العقيدة الإسلامية ؛ لأنها عنوان المسلم، وهي التي تميزه من غير المسلم، وهما جملتان أو عبارتان قصيرتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، كما أثر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال (عليه السلام) بعد الحمد «**وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له شهادة ممتحنًا إخلاصها، مُعتقَدًا مُصاصُهَا... وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله...**»[2].

لقد افتتح النص الشريف بهاتين الشهادتين العظيمتين بعد منصرفه من صفين، وهو يقارع المارقين المتشككين الذين لم يثبت في صدورهم الإيمان، إذ

كان إيمانهم على جرف هارٍ.

نجد النص الشريف بعد كل شهادة يسهب في بيان عظمة الخالق، ومهمة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، والمسؤولية التي انتدب من أجلها، وبيان حالة الواقع المعاش ما قبل البعثة الشريفة وما بعدها، وقد فصّل في هذا المقام إظهارًا لعظمة الرسالة المنوطة به، وقد أدّاها على الوجه الأكمل.

أسند فعل الشهادة إلى نفسه الشريفة في الشهادتين، شهادة التوحيد والرسالة إذعانا وإقرارا منه (عليه السلام) بهما، لأنها أصل كل عمل بِرٍّ، ومبتغى كل خير، وفيهما ارتباط بما يجيء من كلامه الشريف الذي هو تقديس لله سبحانه وتنزيه وتبجيل لرسوله وأهل بيته (عليهم السلام).

إذ يظهر في ضمير المتكلم لهذا الفعل (أشهد) النسبة القوية الظاهرة والواضحة للعائد على الفعل الذي أقبل على ربه بكل جوارحه، بهاتين الشهادتين، لأن الثانية مكملة للأولى، ويتجلى في هذا الإضمار العلاقة التي تلتقي بين المتكلم والمخاطب في عملية الكلام «ولئن بدا الإضمار في الظاهر عملا ينجزه المتكلم بمفرده فإن للمخاطب فيه دورًا محوريًا يتمثل في سابق معرفته بالشيء المضمر»[٣]. وفي هذا الضمير المستتر قرينة معنوية تعمل على نشوء قرينة الارتباط بين الجزأين[٤].

لقد اقترنت العبودية والرسالة في موضع الشهادة في قوله (عليه السلام) «**واشهد أن محمدًا عبده ورسوله**» تشريفًا له (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتعظيمًا لمقامه الكريم؛ لأن الله سبحانه اصطفاه من عباده المكرمين، وأخذ الميثاق من النبيين، واشهدهم على تصديقه، والإيمان برسالته، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ**

﴿أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

والخوض بالعبودية تكريم له (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد وصفه القرآن الكريم بذلك منها ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، وقوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وخصت العبودية في التنزيل العزيز بالمكان والمقام العالي للأنبياء (عليهم السلام) وغيرهم[٥].

وبعد ذكر الشهادة الثانية أورد (عليه السلام) الحديث مفصلًا عن مبلّغ الرسالة وصاحبها (صلى الله عليه وآله وسلم) مبتدئًا فيها من العام إلى الخاص في قوله «أرسَلَهُ بِالدِّينِ المَشهورِ، وَالعَلَمِ المَأثورِ، وَالكِتابِ المَسطورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّياءِ اللاَّمِعِ، وَالأمرِ الصَّادِعِ...»[٦].

فالدين المشهور يمثل الرسالة بكاملها وما يندرج فيها مما هو واقع ضمنها، فبعدما ذكر العام انتقل إلى الجزئيات الداخلة فيه.

لقد كانت المهمة المنوطة به (صلى الله عليه وآله وسلم) عظيمة وكبيرة، لذا جاء الاختيار للفعل (أرسله) مناسبًا لأمر الدين العظيم، والرسالة الإسلامية الخالدة، وهو يختلف عن الفعل (بعث)، وقد ذكر أبو هلال العسكري الفرق بين البعث والإرسال فالأول أقل شأنًا يقول «يجوز أن تبعث الرجل إلى الآخر لحاجة تخصه دونك ودون المبعوث إليه كالصبي تبعثه إلى المكتب فتقول: بعثته، ولا تقول: أرسلته؛ لأن الإرسال لا يكون إلا برسالة وما يجري مجراها»[٧].

نجد النص الشريف مكتنزًا بالمعاني عن طريق التكثيف للعبارات

التي حصل بها العطف والترادف للأوصاف المتنوعة، كما هو في قوله: «**أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر الصادع**» يذكر الدكتور فخر الدين قباوة في تحليل الأدوات.

(ال و: واو العطف وعدد من حروف الجر): «إنّ الأداة تتضمن معنى بالقوة وهي منفردة، وأن هذا المعنى لا يتجلى إلا في التركيب، حيث تبرز حدوده وتتعين معالمه، وهذا يعني أن في مقتضى الحال، أي في ظروف إنجاز الكلام، وسياق المقال من المعطيات ما يوجه المحلل إلى تعيين تلك الحدود والمعالم... فمن خصائص الأدوات أيضًا إن كثيرًا منها يدخل في التركيب، لتشكيل منظومات تعبيرية متناسقة، يؤلف بينها المعنى المشترك زيادة على النظم الكلامي»[٨].

إنَّ تراكم هذه العبارات الواصفة للرسالة وصاحبها (صلى الله عليه وآله وسلم) التي تظهر مكامن أسرار مقامه الشريف، هي وسيلة إقناع للمتلقي الذي يعد عنصرًا فاعلًا وحاضرًا في عملية إبداع النص، إذ يحاول صاحبه أن ينقله إلى الحالة التي يعيشها،أو إلى التفاعل مع التجربة التي دفعته، ويرى الدارسون أن في هذا أسلوبا يتبعه المبدع كـ «قوة ضاغطة يسلطها المتكلم على المخاطب، بحيث يسلبه حرية التصرف إزاء هذه القوة فكأن الأسلوب أصبح بمثابة قائد لفظي للمتلقي.

هذه القوة الضاغطة تتمثل فيها عملية الإقناع بوسائلها العقلية، التي عبرها يسلم المتلقي قياده للفكرة الموجهة إليه، كما تتمثل فيها عملية الإمتاع التي تلون الكلام بكثير من المواصفات العاطفية الوجدانية، إذ تكون هناك مزاوجة بين الجانب

الإقناعي والجانب الإمتاعي، كما تتمثل فيها ثالثًا عملية الإثارة التي بها يوقف المبدع المشاعر التي كانت مختزنة عن المتلقي...»[٩].

يعمد المنشئ إلى توصيل كلامه للمتلقي، ويحرص على بيان مقاصده وغاياته مستفيدًا مما يتمتع به من طاقات فكرية، وتجربة في سبر أغوار الحياة، وأداء ذلك بطرق الكلام وأساليبه المتنوعة[١٠].

جاءت العبارات القصيرة الموجزة محملة بالمعاني العميقة الدالة على مضمون رسالته السمحة، إذ تنبئ هذه الأوصاف المتوالية عن تصعيد للمعنى وتوسعة إشعاعاته، تتخللها فروق في معانيها اللغوية، أراد المتكلم إظهاره وإبرازه، ومن ثَمّ فإن ذلك يعود على صاحب الدعوة والبعثة المطهرة (صلى الله عليه وآله وسلم)، من ذلك ما نلحظه في قوله «**العَلَمِ المَأثورِ، وَالكِتابِ المَسطورِ**»، فقد فسر في احد قولين إنّه القرآن الكريم، إذ جعله علمًا هاديًا، والمأثور هو ما يحكى عنه، واستدل على ذلك بقوله بعده (**وَالكِتابِ المَسطورِ**)، ويراد به القرآن الكريم، والعبارة التالية مؤكدة للأولى[١١]. جاءت هذه الأوصاف على درجة عالية من الدقة والانسجام فيما بين الألفاظ، فقد جاء (السطوع) وصفًا للنور، (واللمعان) وصفًا للضياء، لأن هناك فرقًا في التعبيرين وهو أن الضياء أصل والنور متفرع منه وحاصل بسببه، أورد أبو هلال «إن الضياء ما يتخلل الهواء من أجزاء النور فيبيض بذلك، والشاهد أنهم يقولون ضياء النهار، ولا يقولون نور النهار إلاّ أن يعنوا الشمس، فالنور الجملة التي يتشعب منها...»[١٢].

ولما كان الضياء بهذا المعنى الكبير وصفه باللمعان، ويراد به البرق[١٣] وكأن لفظ اللمع يحمل اتساعًا وعمومًا، لذا استعمل هنا مع

الضوء، وكذلك فيه شدة وبأس قال أبو هلال «إنّ اللمع أصله في البرقة وهي البرق، ثم الأخرى المرة بعد المرة، واللمح مثل اللمع في ذلك إلا أن اللمع لا يكون إلا من بعيد، هكذا حكاه السكري في تفسير قول امريء القيس[١٤]:

وتخرج منه لامعات كأنها

أكف تلقى الفوز عند المفيض

والبرق أصله فيما يقع به الرعب، ولهذا استعمل في التهدد»[١٥].

وورد النور موصوفًا بالسطوع، ويراد به الارتفاع والعلو لهذا النور «يقال سطع المسك إذا ارتفعت ريحه، وكذلك سطوع الغبار ارتفاعه، وسطوع الصبح كذلك»[١٦]. وجاء لفظ (الصادع) نعتًا للأمر وهو من معنى قوله ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]. والصدع معنى يدل على تأثير بائن في الشيء وهو «الشق في الشيء الصلب كالزجاجة والحائط وغيرها... ورجل صدع ماض في أمره وصدع بالأمر يصدع صدعًا، أصاب به موضعه وجاهر به...»[١٧].

نجد النص الشريف يقرن هذه الأوصاف المتعلقة بالرسالة بالأداة (ال) نحو (العلم المأثور، والكتاب المسطور، النور الساطع، الضياء اللامع، الأمر الصادع) وكأنها أرادت العهد والمعرفة السابقة بهذه الأشياء العظيمة، وتفيد (ال) معان عدة فـ(مثلًا تفيد الجنس والعهد والموصولة والنيابة ولمح الأصل والتزيين والتعظيم... ثم غالبًا ما تكون في التركيب ذات وجه واحد من الوجوه)[١٨]، أراد أنها تعطي معنىً معينًا عبر استعمالها في التركيب.

لعله أراد بوصف الدين بالمشهور، أنه معهود به الذيوع والإظهار والشهرة، وفيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ

﴿وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الفتح: ٢٨]، وفي القرآن الكريم إشارات أخرى إلى هذا المعنى، وكذلك إشارات من السنة الشريفة، فيما أُثر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) في يوم الخندق حينما ضرب بالمعول، فخرج نور قد أضاء الفضاء حتى بانت قصور كسرى وقيصر.

نجد الوضوح باديًا، بيّنًا في التعبير المتعلق بالرسالة الشريفة، عبر الأوصاف والنعوت التي تجلى فيها المعنى بأبهى صوره، وتلحظ الدقة في الاختيار، مما يكسب الكلام قوة وتوكيدًا، فالمسطور مثلا لا يكون إلا للمكتوب أو الكتاب، لذا اجتمعت في هذا اللفظ (المسطور) الصفة والتوكيد، فأصبح في العبارة تلازم بين اللفظين مما جعلها علمًا للقرآن الكريم، وكأنه (عليه السلام) اقتبسها من قوله تعالى: ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: ٢- ٣].

ومن هذا يظهر التلاؤم الواضح، والتلازم المناسب في استعمال اللمعان للضياء، والسطوع للنور؛ لأن الأول أقوى من الثاني وأشد، وهذا ما أفصح عنه القرآن بقوله ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]، قال الزمخشري «والضياء أقوى من النور»[١٩].

نجد النص في غاية من الترابط والتناسب، فبعدما ساق هذه العبارات من المنعوتات، ونعوتها، جاء ما بعده من الكلام تعليلًا وسببًا له، فالصدع هو الأمر العظيم، وهو أمر الدين والرسالة، وبعثته (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا إنما هو «إزاحة للشبهات، واحتجاجًا بالبينات، وتحذيرًا بالآيات، وتخويفًا بالمثلات»[٢٠]. إذ إننا نلمح العلة ظاهرة عبر استعمال المفعول لأجله في قوله (إزاحة، واحتجاجًا، وتحذيرًا وتخويفًا) وهذه قرينة صريحة وظاهرة من أجل تقوية العلة؛ لأنه «يدل على

علة حدوث الفعل، وعلى تقيده بها»[٢١] «وعلاقة السببية إحدى علاقات الارتباط المنطقي بين المعاني، ويقتضي سياق الجملة من المتكلم أحيانا أن يلجأ إلى هذه العلاقة لتكون معينًا له على بيان سبب وقوع الحدث... ومن هنا أنشأت العربية علاقة ارتباط بين الفعل والمفعول لأجله المنصوب بطريق علاقة السببية نحو قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١] وحرصت على أن يكون المفعول لأجله مصدرًا؛ لأنّ المصدر دال على الحدث المجرد من أي معنى آخر»[٢٢] وقوله (عليه السلام) (إزاحة للشبهات)، فقد اكتفى بذكر الإزاحة لأقل الأشياء ليمتنع ويرتدع من الإقدام عن الأكبر والأعظم، لأن الشبهة هي ما اختلط فيها الحق بالباطل، إذ هي ليس بحق محض، ولا بباطل محض، فإذا كانت الإزالة لما هو متذبذب، فما كان أكثر وأعظم منه فهو مدفوع وصولًا لليقين الذي لا شبهة فيه، وأما قوله (عليه السلام) (واحتجاجًا بالبينات) فهي الواضحات الدالة على الحق والحقيقة، فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) اتخذها حجة ودليلًا وبرهانا يرتكز عليها دينه الحنيف. وقوله «وَتَحْذِيرا بِالآيَاتِ، وَتَخْوِيفا بِالْمُثُلَاتِ» فقد بدأ بأقل درجة من الوعد والوعيد؛ لأن التحذير هو أمر دون التخويف فهو دالّ على التنبيه والإنذار بآيات الله البينة الواضحة، والتخويف هو الحالة الشديدة والمضطربة التي تعتري المخلوق ولعلها أشدّ من سابقتها وهو تهديد بالعقوبة، (والمثلات) جمع (مثلة)، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ [الرعد: ٦][٢٣] وفسرت لفظة المثلات أنها «النقمات الواحدة (مثلة)... والمثلة نقمة تنزل بالإنسان فيجعل مثالًا يرتدع به غيره

كالنَّكال»[٢٤].

جاءت الألفاظ التي هي من لوازم الرسالة وهي (الدين، والعلم، والكتاب)، واضحة دالة على السمو، لإتمام معناها بالوصف المشتق (اسم المفعول) الواقع صفة لها وهو (المشهور، المأثور، المسطور). أما الوصف المشتق في ألفاظ (الساطع، اللامع، الصادع). فقد عاد الحدث فيها على الاسم السابق لها، وقيامه بها؛ لأنّ فيها فاعلًا يعود عليها.

جاءت العبارة في هذا النص الشريف متسقة متناسقة، يصدع التناغم في موسيقاها، ونلحظ فيها تقسيمات لألفاظها وعباراتها، إذ إنها جاءت في أعلى درجات الصياغة اللفظية التي تجذب النفس، وتطرب السمع وكأنها تجري في روي ونسق في أصواتها كحرف الراء الذي انتهت به عدد من الألفاظ كـ(المشهور، المأثور، المسطور)، وحرف العين كما في (الساطع، اللامع، الصادع)، وحرف التاء كما في (الشبهات، البينات...)، وقد شغل هذا مساحة من النص الشريف إذ شاعت حروف مثل: (النون، اللام، الميم، والهاء) وغيرها من الحروف من جهة شكل الألفاظ التي تسترعي السمع وتستهويه، وتجذبه لما فيها من إيقاع مؤثر. يلمح في هذه العبارات مجيء الأسماء مقترنة بـ(ال)، مثل الدين، العلم، الكتاب، النور، الضياء، الشبهات، الأمان، المثلات، الفجر، الأمر، المخرج...). و(ال) هذه إنما هي (ال) العهدية لعلم المتكلم بحال المخاطب إنه على معرفة باللفظ الداخل عليه؛ ولأنه يدركه ولم يجهله، وقد عمد إليها ليحيل المتلقي عليها، ويميل فيها إلى الاختصار والاختزال في المنظم، فيحرك فكره ويجعله يجول في تصورها وإدراك قيمتها، وليجعل منه مشاركًا في نصه وكلامه وملمًّا بفكرته.

جهاد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في إتمام الدين:

يوازن الإمام (عليه السلام) في خطابه الشريف بين حالتين متقابلتين في أمر الناس من حيث الهدى والضلال، الأولى متمثلة في جهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، في سعيه لإظهار الدين القيم ووضوح الطريق المستقيم، والثانية الكشف عن حال فئة من الناس اتبعوا الشهوات، واضاعوا الصلوات، وغرهم بالله الغرور، فآثروا الأولى على الآخرة، فقد رسم (عليه السلام) صورة معتمة مظلمة لهذه الحالة المقابلة للنور المشرق للدين الحنيف، فعبر عن حالة التيه والضلال لهؤلاء الناس بفتنتهم التي أضرّت بالدين، ومن ثم أضرّت بالحياة من نواحيها المختلفة؛ لأن الدين أصل كل شيء، فهو نظام الحياة وقانونها، وفي هذا التقابل صورة جمالية لترابط الكلام وتوصيله للمتلقي وهاتان الحالتان المتقابلتان وظفهما الإمام (عليه السلام) بعبارات مكثفة متناسقة قائمة على الربط والانسجام، وهذا النوع من التقابل لا يقصد به أن تقف كلمة مقابل أخرى، وإنما هو موازنة بين حالتين مختلفتين، والتقابل بشكل عام مصطلح «ذو صفة شمولية لا تقف عند حدود المقابلة الطباقية أو عند حدود المقابلة للشيء، فهو يتصف بصفة الجمع لأسلوب التوازن أو التماثل أو التفويف أو الازدواج والإرداف والترديد... والتناسب والتناظر... وكلها على صلة كبرى بالعناصر الجمالية»[٢٥].

ويؤكد الدراسون على جمالية أسلوب التقابل لكونه بنية نسقية مندمجة الأجزاء في سياق قائم على التناظر في الشكل ومتفاعل مع الدلالة، فما تكاد تلتقي حتى تفترق على التضاد، أو على التشاكل لتخلق لذة جمالية مفاجئة ومثيرة، وهي تنتقل من أسلوب نسقي إلى آخر

لتحدث في النفس قبضًا وبسطًا، هيبة وأنسًا، خوفًا ورجاءً و.....

وبهذا كله يغدو أسلوب التقابل في بنيته الجمالية ظاهرة أسلوبية داخلة في نظرية النظم عند الجرجاني، وفي مفهوم التصوير الفني عند القدماء والمحدثين على السواء... فالتضاد التقابلي لا يقوم على مجرد المعاكسة أو التعارض، أو على أساس مفهوم الهدم والبناء... وإنما يستند إلى النسق التقابلي البنيوي فكل نسق يقف مقابل نسق آخر تضادًا وتشاكلًا لينتهي إلى التآلف والتكامل والتناغم في وحدة منسجمة»[٢٦].

جاء النص الشريف مشتملا على مستوى عال من البلاغة لما فيه من الاستعارات والمجازات، كما في قوله (عليه السلام)): «**وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ انجَذَمَ فيها حَبلُ الدِّينِ، وَتَزَعْزَعَتْ سَوارِي الْيَقِينِ... في فِتَنٍ داسَتهُم بِأَخفافِها، ووَطِئَتهُم بِأَظلافِها وقامَت عَلى سَنابِكِها ....**»[٢٧]. نجد الإمام (عليه السلام) ينعت هذه الحالة الضارة بالفتنة والفتن لخطورتها، ويحذر من هذه المواقف بعد بزوغ نور الرسالة الذي أشرقت له السموات والأرض، يورد ذلك بعبارات مترابطة متناسقة متعددة عبر تعالق بعضها ببعض بواسطة العطف فيما بينها. والعطف أو ما يعرف بالوصل الذي يقابل الفصل هو من مباحث المعاني التي تتميز بإمكاناتها الأسلوبية لاعتمادها على الأدوات الرابطة، ويطلق عليها حروف المعاني[٢٨].

نجد في النص ألفاظًا متقاربة في معانيها كاستعماله (عليه السلام) الأفعال (انجذم، تزعزع) والفعلين (اختلف، تشتت)، فهي وإن كانت ظاهرًا تدل على معنى واحد، ولكن يظهر فيها فروق في اللغة، والمعنى الجامع فيها الوهن والضعف، والزوال والاضمحلال، فضلًا عن دقة

الاستعمال في كل جملة وردت فيها. فالجذم ملازم لاستعمال الحبل، وهو انقطاعه، والتزعزع هو التضعضع والسقوط وفي قوله (عليه السلام): «واختَلَفَ النَّجْر وتَشَتَّتَ الأَمْر» والنجر: يعني الأصل في الشيء[٢٩]. ونقل عن أبي عبيدة قوله (وفي حديث علي، واختلف النجر، وتشتت الأمر، النجر الطبع والأصل ومن أمثالهم في (المخلِّط) الذي ليس له رأي يثبت عليه قالوا (كل نجارِ ابلٍ نجارها) يريدون بذلك فيه من كل لون من الأخلاق[٣٠] وفي هذا يشير أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ضياع هؤلاء المضلين في آرائهم وأصولهم وطباعهم.

ومما جاء على دقة العبارة وتناسبها مع أختها أنه قدم عبارة (اختلف النجر) على عبارة (تشتت الأمر)؛ لأن الاختلاف فيما هو أصل وثابت يكون علة لما بعده وسببًا له، فإنه يقود ويؤدي إلى تشتت الأمر وتبدده، وجاء لفظ (الأمر) في عبارة (وتشتت الأمر) و(الأمر) لفظ يستعمل للشيء المهم والعظيم، وقد عبّر القرآن الكريم في عدد من المواضع في هذا اللفظ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ للهِ...﴾ [آل عمران: ١٥٤] ونحو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧].

«والأمر: الشأن.... وهو لفظ عام للأفعال والأقوال كلها»، وجاء وروده في القرآن الكريم بحسب السياق منه قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: ١٢٣] وكذلك جاء بمعنى الإبداع نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤][٣١].

ومن غناء النص ما نلحظه فيه من استعمال المتضادات والتقابلات كما في قوله (عليه السلام) «فالهدى خامل، والعمى شامل» و(عصى الرحمن،

ونصر الشيطان) و(في خير دار وشر دار).

وفي حديث الدكتور حسين جمعة عن العلاقة الجمالية بين الشكل الفني لأسلوب التضاد وبين مضمونه في القرآن الكريم، بيّن ذلك أنها «علاقة تقوم على الدقة في اختيار الألفاظ وإنزالها في مواضعها دون تعقيد أو غموض، أو زيادة أو نقصان.... وتتمثل في الوضوح والرقة والانسياب العذب بين الأنساق المتقابلة... سواء كانت متناظرة أم متساوية... فهي تتصف بالبهاء والرونق في اللفظ المفرد الفصيح، وفي اللفظ المركب البليغ في الوقت الذي ترسي مبدأ الروعة والسمو في معانيها»[٣٢].

ومن هاتين الصورتين تبرز آلة العنت والمشاق الذي تحمله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سبيل إعلاء كلمة الله، كما يبرز انحطاط الفئة التي تستخف بأمر الدين ولا يمسكها وازع ولا رادع عن انتهاك الحرمات واتباع الأهواء، وحبّ الشهوات، فأراد (عليه السلام) أن يعبر في الحالة الثانية عن ذم أصحاب معاوية، وبيان حالهم هذه؛ لأنها فئة تنصلت عن دين الله تعالى الذي أظهره نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) فمن خالفه كانت هذه صفته. ومن تمسك به كانت منزلته ومقامه يتجه نحو مقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ارتباط أهل بيته (عليهم السلام) به (صلى الله عليه وآله وسلم):

بعد المقطع الذي افتتح به خطابه (عليه السلام) وأظهر فيه بعض مناقب النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم بعد ذلك جعله موصولًا بورثته في الدين وامتداده في الرسالة، وهم الأئمة من أهل بيته (عليهم السلام) الذين حفظوا عنه الإسلام الحق فتفانوا في الدفاع عنه، وضحوا من أجله، إذ يقول (عليه السلام): **«هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ وَلَجَأُ أَمْرِهِ وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبَالُ دِينِ، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ،**

وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ»[٣٣].

كل هذه الأمور المهمة والعظيمة المعظمّة له (صلى الله عليه وآله وسلم) التي أظهر فيها الإمام (عليه السلام) الدرجة العالية له (صلى الله عليه وآله وسلم) جعلها مودعة بهم، وراجعة إليهم من هذا يدل على أنهم (عليهم السلام) أصله وبطانته، إذ نجد في هذه العبارات ترابطًا وقوة في الاتساق عبر الإضافات المتكررة، فالإضافة تدل على شدة امتزاج النسبة بين الاسمين.

لقد جاءت العبارات مكثفة بواسطة العطف الذي عُدَّ من أساليب الربط، فقد بين أحد الدارسين ذلك بقوله: «فإنّ صيغ العطف والشرط تلعب دورها في خلق السياق الأدبي الذي يخرج بها من إطارها التراثي المألوف إلى صور تعبيرية، أو منبهات أسلوبية تتجدد مع تجدد السياق تبعًا للعلاقات الكائنة في ذهن المبدع، وتبعًا لقدرته على الربط بين عناصر الموجودات في شكل صياغة جمالية تعتمد على التضايق والترابط لا على مجرد الجمع والرصّ»[٣٤].

لقد وصل الكلام أيضا عبر الإحالات المتمثلة بالضمير العائد على الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) في الألفاظ الواردة في النص نحو (سرّه، أمره، علمه، حكمه...). لقد تولدت هذه المنزلة من مقامه الشريف (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأنه لا ينفك موصيًا بهم في كل وقت و مكان، قال معبرًا عن ذلك (عليه السلام): «ولهم خصائص الولاية، وفيهم الوصية والوراثة...»[٣٥].

وبعدما بين الحال التي عليها هؤلاء المنافقون، عرج بالقول على الكفّة الراجحة، وهم محمد وآل محمد (عليهم السلام)؛ لأنهم المحسودون من الجهة الثانية وهي الفئة المنافقة، فأراد من ذلك إظهار المقام الرفيع الذي

بوأهم الله فيه، والمحل الذي هيّأه لهم؛ لتكون حجة على من ناوأهم، ونصب العداوة والبغضاء لهم، وهذا الكلام لا يستطيع أن ينكره أحد؛ لأنهم قد بذلوا غاية المجهود من أجل تثبيت الدين ورسوخه، والأمة تشهد على ذلك، وقد أشار شارح النهج أن في كلامه (عليه السلام) هذا تعريضًا على من ادعى التقدم عليه، لسابقته في الإسلام، وجهاد أعدائه، وكذلك علومه الواسعة الجمّة[٣٦]. عن طريق مقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تنعكس صورتهم لارتباطهم معه.

لقد أشار (عليه السلام) إلى أمور ترجع إلى النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) منبهًا الأمة على ذلك، مؤكدًا فيها على حقوق أهل البيت (عليهم السلام)، ورعايتهم، منها قوله: «ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة»[٣٧]. والأحاديث المأثورة عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقهم، والوصية في اتباعهم فهي ثابتة عند المسلمين جميعًا، منها حديث الثقلين عن أبي سعيد، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): **«إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»**[٣٨]. وغيره من الأحاديث الشريفة الكثيرة. جاءت هذه الألفاظ (الولاية، الوصية، الوراثة) في كلامه الشريف معرفة بـ (ال)؛ لأنها معهودة عند الأمة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أهل بيته (عليهم السلام) في موالاتهم؛ ولأنهم أوصياؤه وورثته في دينه.

يقرر في قوله (عليه السلام): **«إن الله لما قبض نبيّه استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة»**[٣٩]، يبين (عليه السلام) أحقيتهم بالموالاة والرعاية والطاعة لأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما رأى من مصادرة حقوقهم، وعن طريق ذلك فإنه (عليه السلام) يرسم مكانتهم بين

الأمة عبر ما خطه رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم، ولمّا كان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ينطق عن الهوى، فهذا حق يقين، ومن صدف عن ذلك فقد خالف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

الربط في تشابه الأحداث بين الإمام (عليه السلام) والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

بيّن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عن طريق الأحداث التي مرت وعاشها شدة ارتباطه برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نجد ذلك في قوله: «ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ، وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ، إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمُثُلاتِ حَجَزَتْهُ التَّقْوى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهاتِ، أَلاَ وَ إِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، لَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً، وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلاَكُمْ...»[٤٠]. بدأ أمير المؤمنين (عليه السلام) خطبته بوثوق ويقين نافيًا على من يراوده شك في قوله، مؤكدًا ذلك بأخذ العهود على نفسه فيما يذهب إليه، ويتحرى القول في قوله مجتنبًا للشبهات، وبعد هذا التمهيد أراد (عليه السلام) أن يقارب في أمرين، وبين حالتين، وهو حال الأمة في عهد البعثة المشرفة، وموقفهم منها بين مؤمن ومنكر، وما تحمله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أجل ذلك، وكذلك الحال في عهده (عليه السلام)، وبيان ما سوف يواجهه من المعاندين والمعارضين، وما يجري من الفتن ، فأراد أن يبين المواقف المتشابهة بينه وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويمكن أن يفسر كلامه الشريف إلماحًا منه (عليه السلام) لاندماج الحالتين بينه وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ لأنه ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نفس واحدة فهي متحدة معه، وهذا ما فسر في آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا

﴿وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللّه عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

أورد ابن الجوزي آراءً عدة في قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ نقل الرأي الأول عن الشعبي أن المراد بذلك هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)[٤١].

والإمام (عليه السلام) على يقين في كلامه؛ لأنه يؤكد ذلك باليمين والقسم، وهو يقسم بمبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك قسم كبير في نفسه، وفي نفس الآخرين، ولا شك أن القسم من مؤكدات الكلام وقول الإمام (عليه السلام) وعلمه إنما هو مستنبط من علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وفي هذا المعنى ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «عَلَّمَنِيْ رَسُوْلُ اللهِ أَلْفَ بَابٍ مِنَ العِلْمِ يُفْتَحُ لِيْ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ»[٤٢].

نجد النص الشريف مملوءًا بالقوة والتأكيدات، تجليةً للهداية واليقين، والبصيرة الثاقبة البعيدة عن كل شبهة، ويظهر ذلك عن طريق الإحالات بالضمائر كضمير المتكلم، وياء المتكلم التي تعود عليه (عليه السلام)، وكذلك المشيرات المتمثلة في الاسم الموصول (الذي)، والمؤكدات بلام التوكيد، والنون المؤكدة للفعل.

ففي بيان خاصية الضمائر من حيث مجيء الضمير كونه معوضًا عن اسم مذكور، فرّق الهيشري بين ضمائر الحضور التي تمثل ضمائر المتكلم والمخاطب، وبين ضمائر الغيبة، إذ إنه بين أن ضمائر المجموعة الأولى (الحضور) لا تعوض في الغالب عن الاسم المذكور في المقال، بل إنها تشير إلى «شخصين مشاركين في اتخاذ القول وحاضرين في المقام، هما المتكلم والمخاطب»[٤٣].

الاحتجاج برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ردًّا على الخصوم:

يحتج (عليه السلام) في مؤاخذاته على من

لم يتحرَ الدقة في الحكم، ويسير به برأيه، على ذلك بإتمام هذا الدين الحنيف الذي بعث به رسول الله (ﷺ) بما أنزل عليه من ربه من الآيات البينات الواضحات، فلما عاب على من اختلف مع غيره وحكم برأيه، احتج بوحدانية الله تعالى، وبالمبعوث رحمة للعالمين جميعًا محمد (ﷺ)، وكذلك بالكتاب المنير الهادي إلى سواء السبيل، فعلى الرغم من الموحدات التي تلزمهم بتوحيد كلمتهم، وقوة شوكتهم إلا أن آراءهم أشتات يقول (عليه السلام): «**ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقُضَاةُ بِذَلِكَ عِنْدَ الإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعًا وإِلَهُهُمْ وَاحِدٌ، ونَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ وكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ**»(٤٤). فعبارته (ونبيهم واحد) وردت في سياق أكثر من عامل في التوحيد ابتداه برب العزة تبارك وتعالى، وتلاه بالنبي الأكرم (ﷺ)، ثم الكتاب العزيز؛ لأنه تعالى قرنَ ذكره بذكر رسوله في الطاعة والتنزيه والتمجيد، والتكريم والتشريف، وهذا ما يؤكده القرآن الكريم.

مما يدلّ على المكانة التي يشهد بها (عليه السلام) للنبي الأعظم (ﷺ) وقوله «**أم أنزله الله سبحانه دينًا تامًا فقصّر رسول الله (ﷺ) عن تبليغه وأدائه**»، ففي هذا الكلام استفهام إنكاري؛ لأنه ينكر اشد الإنكار والاستبعاد عن أن يدخر الرسول الكريم (ﷺ) وسعًا إلا ويبذله من أجل تبليغ رسالته، لأن ذلك يناقض ما ذكره الله عن رسوله وإتمام دينه.

إن «استعمال الاسئلة الاستفهامية من الآليات اللغوية التوجيهية، بوصفها توجه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليها، ومن ثم فإن المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث،

بل وللسيطرة على ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب تجاه ما يريده المرسل، لا حسب ما يريده الآخرون»[٤٥]. نجد هذا الاستفهام قد بدأه (عليه السلام) فيما يتعلق بالتنزيه عن الباري الخالق تبارك وتعالى، ثم أردفه بالكلام عن تنزيه رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) للتلازم وشدة الارتباط بين الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

مدح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والثناء عليه:

بعد الحمد لله سبحانه ذكر نبيه بما هو أهله معللًا ابتعاثه وإرساله، فقال: «**وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، ابتعثه رحمة للعباد، وحياة للبلاد**»[٤٦]، جاء الفعل (ابتعثه) بعد الشهادة برسالته لتكون الألفاظ نسقًا منسجمًا ومتناسقًا، والفعل (ابتعث) جاء على صيغة (افتعل)، إذ نلمس فيه معنى المطاوعة؛ لأنّ المشيئة الإلهية المطلقة، والقدرة التكوينية تقررت بابتعاثه وتكليفه (صلى الله عليه وآله وسلم)، حمل هذه الرسالة العظيمة، فأداها على أكمل وجه مسددًا ومصوبًا من الله تعالى، واستعمال صيغة (افتعل) لها «معنى مهم جدًا للتوصل إلى العامل والمعمول»[٤٧].

لقد بين (عليه السلام) في قوله «**ابْتَعَثَهُ رَحْمَةً لِلْعِبَادِ...**» هذا الابتعاث وهيأته التي جاءت ملائمة لمعنى القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقد جاءت العبارات متناسقة ومتلائمة في مواضعها، فقدمت عبارة (الرحمة للعباد) على عبارة (الحياة للبلاد)، لأجل تقدم العلة على المعلول، فإذا عمّت الرحمة العباد ببركة الرسالة الخالدة، وصلحت الأمة بشرعته وبعثته المباركة، فسيؤدي ذلك إلى الحياة الطيبة الكريمة.

ويرتبط هذا الكلام بالكلام

اللاحق، وهو علة له إذ أشار (عليه السلام) إلى أن الرسالة والبعثة إنما هي هداية لهذا العالم الأرضي بأكمله، وهذا ما يدل عليه قوله «**حين امتلأت الأرض فتنة، واضطرب حبلها، وعبد الشيطان في أكنافها، واشتمل عدو الله إبليس على عقائد أهلها...**»[٤٨]، نجد في ما تقدم قوة في السبك والحبك بين العبارات، وقد تنبه الدارسون المحدثون إلى الارتباط فبينوا «أن أصل تلك العلاقات جميعًا يرجع إلى علاقات الارتباط المنطقي بين المعاني، وهي العلاقات القائمة على عملية تداعي المعاني في العقل البشري... ويذكر براون وميلر أن بعض الباحثين استخدموا مصطلحات أخرى تتعلق بهذا المجال منها مصطلحا النظام والتركيب، ومصطلحا الاختيار والسلسلة، ويقولون إن هذه العلاقات شاملة، إذ يمكن تطبيقها على كل مستويات الوصف اللغوي، ومن هنا كانت هذه العلاقات متضافرة ومتوافقة، ليس يتكل بعضها على بعض»[٤٩].

وبعد هذه الأحوال الدالة على أهمية البعثة المشرفة، أعقب ذلك بقوله (عليه السلام) «**فكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب إمام الهدى، والنبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)**»[٥٠]، إذ جاء بعد هذا الكلام ذكر النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي ذكره أثر بالغ في النفس لما يحمله الاسم الشريف من قوة في وصل الكلام، كوسيلة للإقناع والإنجاز، ويذهب الدارسون المحدثون إلى أن اسم العلم «يحيل على شخص ما في مقام ما أو مقال ما يصبح له محتوى وصفي، هو مجمل صفات ذلك الشخص الذي يحيل عليه الاسم. لذلك ذهب روسل في نقده لميل في مسألة اسم العلم، إلى أنه على الحقيقة وصف لصاحبه لكنه وصف غير معلن. فاسم العلم حسب

روسل يمكن أن يحلل على الصفات التي لصاحبه»[٥١].

يستدل من ذلك أن الاسم العلم المبارك العائد للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يتمثل فيه المتلقي كل الصفات المباركة لحامل الرسالة الخاتمة، بما فيه من المعاني العظيمة والمبادئ السامية لرسالة الإسلام.

وبعد ذكر اسمه الشريف اتبعه (عليه السلام) بالصفات الحقة التي وصفه الله بها، وهو قوله «**إمام الهدى والنبي المصطفى** (صلى الله عليه وآله وسلم)»، وهذا هو المكان الذي بوأه الله تعالى والمحل الذي ارتضاه له.

تظهر بلاغته (عليه السلام) باستعماله الاستعارات والتشبيهات التي وصف بها الفتنة التي أطفأها الله برسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال (عليه السلام): «**الذي أطفأ الله به نيرانها، واخمد به شرارها، ونزع به أوتادها، وأقام به ميلها...**»[٥٢] نجد تكرار الضمير العائد عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) نحو (به) من العبارات المتقدمة، ولاستعمال الضمير دواع ذكرها الدارسون منها «إن إدراك المتكلم بأن المحال عليه لن يلتبس على المخاطب، قد يحمله إلى الاكتفاء بالتلفظ بالضمير، دون أن يردفه بلفظ يدل على مرجعه... أما في خطاب الملوك فإجلالًا لهم لا يخاطبون بضمير الخطاب لما فيه من المواجهة وإنما يخاطبون بضمير الغيبة، أو بوصف يدل على التعظيم وإعلاء الشأن»[٥٣].

وأشار (عليه السلام) إلى ارتحال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإتمام دينه المبارك وسيرته العطرة، وإكمال النعمة، وإعمام الرحمة، فعبر (عليه السلام) في الخطبة نفسها بقوله: «**ثم قبضه الله إليه حميدًا**»، إذ يشير الفعل (قبض) إلى معنى العناية والإكرام، فـ«القبض تناول الشيء بجميع الكف نحو قبض السيف وغيره، قال تعالى: ﴿**قبضت قبضة**﴾

[طه: ٩٦]... وقد يكنى بالقبض عن الموت فيقال قبضه الله»[٥٤]. ويسمى ملك الموت بـ (قابض الأرواح)[٥٥]، مما يدلّ على المدح والثناء على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ما قيّد به هذا الحدث وهو (القبض) بالنعت الحسن وهو لفظ (حميدا) في قوله (قبظا حميدا).

وجاءت الحال (حميدًا) بصيغة المبالغة مبينًا حياته المباركة، والسيرة العطرة حتى اختتمت له برضوان الله وما أعده له من المقام المحمود.

منزلة البعثة الشريفة

نجد الإمام (عليه السلام) في أكثر المواضع والخطب يبدأ كلامه الشريف بدور البعثة الشريفة، وذكر الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) والموازنة بين حال الأمة بعد مجيء الإسلام، وحال الناس قبل الإسلام، كما في قوله (عليه السلام): «إِنَّ اللهَ تعالى بَعَثَ مُحَمَّدًا نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ العَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ...»[٥٦].

بين (عليه السلام) حال البعثة الشريفة، وفيه إشارة إلى ابتداء تكليف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهي بداية خير ونور، لاعتدال ما اعوّج من حياة الإنسان في ذلك الوقت وقبله، وقد اختار (عليه السلام) الفعل (ابتعث)؛ لأنها تفيد بداية الشيء؛ لأنه (عليه السلام) أراد أن يفاضل أو يوازن بين حياتين يعيشها الإنسان وكلاهما متقاربة من الأخرى، إذ تبدأ الثانية بانتهاء حياة قبلها، وكذلك نلمح في فعل الابتعاث امتدادًا للرسالة وأدائها، ويؤكد ذلك الحال التي بينت هيأة هذا الابتعاث في قوله «نذيرًا للعالمين وأمينًا على التنزيل».

والنذير هو وصف له (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكره القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا...﴾ [البقرة: ١١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا...﴾

[سبأ: ٢٨] لقد اختار الإمام (عليه السلام) هذا الوصف للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأنه اسم ووصف فيه قوة وبأس يحتمل الإنذار والوعيد بالعقاب، مما جاء متناسقًا متناسبًا مع ما بعده من الكلام في النص، ولما فيه من التقريع والتحقير فيما كانوا عليه من عصبية وبداوة، وسفك دماء، قال (عليه السلام): «وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ، وَحَيَّاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ»(٥٧).

ونلمح في هذا التعبير العموم والشمول في لفظ العالمين من قوله (عليه السلام) (نذيرًا للعالمين؛ لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مبعوث لجميع العوالم، وشرعته قائمة للناس كافة على مرّ الأزمان والعصور، وجاءت عبارته (أمينًا على التنزيل) زيادة في أوصافه ونعوته (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي معطوفة على ما قبلها دلالة على الثبات والاستمرار والبقاء؛ لأن (نذيرًا، وأمينًا) صفتان مشبهتان، والأمانة صفة عرفها العرب في شخصه الكريم قبل البعثة المطهرة؛ إذ يلقب عندهم بـ (الصادق الأمين).

التأسي برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

يجعل أمير المؤمنين (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أسوته وقدوته ومثله الأعلى في كل موقف شديد يمر فيه، وفي كل كرب ونازلة تواجهه، فيظهر سمو تلك الشخصية العظيمة، وعلو همتها التي يتمتع بها، عبر ما أبان عنه النص الشريف وكشف عنه؛ إذ جاء ذلك حينما أجمعت العرب على قتاله (عليه السلام)، كما أجمعت على حرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويضفي هذا التأسي طمأنة لنفسه، وإيمانًا بهدفه السامي.

في شكاته من قريش، وعداوتها له (عليه السلام) يحتج بقرابته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسابقته في الإسلام في قوله «**وسلمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول وسابقتي في الإسلام**»[٥٨]، فقد جاء التعبير بلفظ الرسول ليتسق مع العبارة التالية له وهي الإسلام؛ لأن الرسول مكلف في تبليغ هذا الدين العظيم وهو انسجام ناجم عن الترابط بين الألفاظ، وهو نوع من الترابط القائم على التكرير، وقد جعل الدارسون هذه الظاهرة من الترابط المعجمي قائمة «على سلم أولى درجاته عودة الوحدة، وبعد هذا الترابط والانسجام بين الألفاظ قيمة مهمة من قيم النص تتمثل باختيار الألفاظ ووضعها بما يناسبها ذكر خمري هذه المسألة بقوله: «إذ يقوم النص بعملية اختيار داخل اللغة ذاتها (محور الاختيار)، ومن هنا يمكن النظر إلى النص باعتباره عينة من المؤسسة اللغوية، إذ يعرض مستوياتها التعبيرية وصيغ تطورها وبنياتها التركيبية والدلالية، وهذه الوظيفة هي لغوية بحته، إذ يفتح النص نظامه اللغوي الخاص ويعمل على تحويله وإعادة تشغيله»[٥٩]، إذ جاء التعبير ليتسق مع العبارة التالية له وهو الإسلام؛ لأنه رسول في تبليغ هذا الدين العظيم، وقدّم عبارة (قرابتي من الرسول) على (سابقتي في الإسلام)؛ لأن القرابة متأصلة وسابقة، وهذا ما جاء في النص الشريف كأنه يريد أن يحتج بذلك بقوله تعالى ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ...**﴾ [الشورى: من الآية: ٢٣] وأبرز منزلة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأن لهم الشرف في الانتساب إليه، وأكد ذلك بعطف عبارة (وسابقتي في الإسلام) على ما قبلها، ولا تقتصر هذه القرابة

على القرابة النسبية بين الإمام (عليه السلام) وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل تتعدى إلى القرابة والترابط والالتزام الروحي والنفسي بينهما.

وفي مقام البعثة وفضلها في الإسلام أظهر كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) صورة العرب وهم يعيشون خبط عشواء بلا هداية، ولا دليل، لا يقرؤون كتابًا ولا يهتدون بنبي، حتى مَنَّ الله عليهم بالنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فتبدلت حالهم، وتغيرت أمورهم إلى خير، لذا جاء الكلام مبينًا عزهم، ومكانتهم بعد شروق الإسلام وبزوغ نوره.

يدل الفعل (ساق) في قوله (فساق الناس) على الاندفاع والتسليم للسائق، وهو الرائد الموصل إلى ذلك المكان والمحل الذي بوأهم فيه حتى بلغوه واستقاموا، ويظهر فيه صورة الإذعان والتسليم، ولعل دلالة الفعل (ساق) نلمح فيها العموم والشمول والقوة، إذ يدخل تحته الطائع والمحب وغيرهما، والأصل في السوق إنما هو «سوق الإبل جلبها وطردها، يقال سقته فانساق، والسقية ما يساق من الدواب، وفسر قوله تعالى ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٣٠] نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]، وقوله ﴿سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] أي ملك يسوقه وآخر يشهد عليه وله، وقيل كقوله: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ [الأنفال: ٦]»[٦٠].

وفي الأفعال الواردة ضمائر تعود على صاحب الرسالة المتقدم ذكره الشريف الذي انقذهم من الجهالة والضلال حتى بلغوا النجاة في الدين، ويؤكد الدارسون المحدثون على أهمية وظيفة الضمير في الجملة العربية لغرض ارتباط وربط أجزاء الكلام وإحالة بعضه على

بعض، فالضمير يعمل على التعالق بين الجملتين ويدفع اللبس عن الكلام[٦١].

افتتح الإمام (عليه السلام) خطبته بالبعثة الشريفة، مسمّيًا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) باسمه الشريف من دون ذكر لفظ الرسول أو النبي، لما في ذكر الاسم العَلَم من قيمة إنجازية مشعة، إذ إنّ في ذكر اسمه الشريف وقع في نفس المتلقي كما تقدم ذكره.

ارتبط مفتتح الكلام الشريف المتمثل بفضل الله على الناس برسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) واستنقاذهم مما هم فيه قبل البعثة المطهرة، ثم تحول الناس الذي أدى إلى حسن حالهم فقد ارتبطت هذه المقدمة بكلامه الشريف عن قريش وما يلاقيه منهم، وكأنه أراد أن يشير إلى العنت والمصاعب التي واجهها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في عهد ابتعاثه مع ما يواجهه نفسه (صلى الله عليه وآله وسلم).

تعظيم الأحاديث الشريفة عند الإمام (عليه السلام):

لما أراد الإمام (عليه السلام) أن يخبر عن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، مهد لكلامه الشريف قبل أن يذكر الحديث في قوله «**فَلَأَن أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ على رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله وسلم)**»، ثم أورد الحديث «**يَخْرُجُ في آخرِ الزّمانِ قَومٌ أحْداثُ الأسْنانِ، سُفَهاءُ الأحْلامِ...**»[٦٢] جاءت هذه المقدمة لتسد الباب أمام المرجفين والأعداء المكذبين المفترين عليه (عليه السلام)، فهو لا يستبعد أن يشك هؤلاء بقوله وهو ينقل حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لذا فقد أظهر فيها منزلة صاحب الحديث ومقامه في نفسه، وقد صور فيها الجرأة، والأمر الكبير، والمعصية التي لا تغتفر بحق من يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد جاء بصورة حسية مهولة تكون عنده أهون من غيرها في حال القول عن رسول الله بغير حق،

وهو أن يَخِرّ أو يهوى من السماء أحب إليه من ذلك، وهذه صورة مهولة مستوحاة من القرآن الكريم حينا يصور المشركين: ﴿... وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فهذه صورة الشرك بالله تعالى، فتلك صورة من يجرأ فيكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن جهة أخرى فإنه أراد أن يدحض الأعداء ويردعهم بحجة دامغة أنبأ فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن هؤلاء المارقين عن الدين كما يمرق السهم من الرمية، وهو نص لا يقبل التأويل.

الانتساب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

يبدأ أمير المؤمنين (عليه السلام) خطبه إمّا بحمد الله سبحانه، والثناء على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو التمجيد بالبعثة والرسالة، أو انتساب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ ليكون مفتتحًا يصغي به الأسماع، ويجلب الأنظار، ويهيئ به القلوب، وهو في كل ذلك ما يقول إلا الحق، وما ينطق إلاّ بالصدق، ومن هذا ما روي عنه (عليه السلام) وهو يخطب الخوارج يوم النهروان بقوله «**نحن أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة، وعنصر الرحمة، ومعدن العلم والحكمة، نحن أفق الحجاز...**»[٦٣].

نجد في هذه المقدمة تكثيفًا للعبارة عبر العطف المتكرر، ولهذه الأخبار التي تثبت الحقيقة وهي متصلة ومرتبطة كلها برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإنه (عليه السلام) قد أراد شيئًا ولم يذكره بذاته، وإنما ذكر لوازمه، وهذا فن بلاغي يسمى بالاستعارة المكنية، فالنبوة والرسالة ونزول الملائكة وحلول الرحمة، ومعدن العلم والحكمة، وأفق الحجاز يرجع إليه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهم قد انتسبوا إليها، لأنهم القيمون عليها بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) والموكلون عليها، فهي أمانة في أعناقهم فأدوها على تمامها، فحاربوا

البغي والظلم والفساد وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وضحوا من أجلها.

لقد توفر النصّ على توصيل الكلام وتقوية أواصره عبر تعدد الإضافات؛ لأن ذلك متحقق فيها لشدة الاندماج بين الاسمين المتضايقين؛ لأنّ الإضافة في عرف النحويين «ضم أسم أول إلى اسم ثانٍ ليس بخبر ولا تابع، ولا حال من غير فاصل بينهما»[٦٤]. ومما تقدم تظهر فيها النسبة القوية الدالة على التماسك، وقد جاءت ألفاظ (الرحمة، العلم، الحكمة) متأخرة في كلامه (عليه السلام) عن ألفاظ (النبوة، والرسالة، وإنزال الوحي، والملائكة)؛ لأن هذه من أسباب الرسالة الخالدة، إذ ارتبطت الرحمة بالرسالة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

إخباره (عليه السلام) بالمغيبات

عن رسول الله (عليه السلام):

ورد في خطبته الشريفة الإخبار بالمغيبات عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) التي اسرّها له في عهده وقد حدثت في زمانه (عليه السلام)، وهذا تصديق لما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدما شك بعضهم فيما يقوله لهم، قال في ذلك (عليه السلام): «أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وَاللهِ لأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، فَلاَ أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ»[٦٥]، إذ جاء كلامه مستنكرًا على من يذهب به هذا المذهب، وهو طريق من طرق الاستفهام الذي تتجلى فيه دلالة الردع والزجر، وبعد هذا الإنكار ورد كلامه (عليه السلام) محملًا بالحجة والدليل الساطع الثابت عند الجميع من قوله: «وَاللهِ لأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، فَلاَ أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ» وفي هذا نقص لما ادعوه عليه، فأسقط ما ذكره عنه في مقدمته، وهذه حجة منه (عليه السلام) موثقة بالمؤكدات كالتوكيد

بالقسم بالله تعالى، وكذلك التوكيد بلام التوكيد الداخلة على الضمير، وكذلك في ضمير المتكلم (أنا)، وكذلك العبارات المتضادة التي تكشف عن النص وتحفز المتلقي في وسيلة الإقناع كما في عبارتي (لأنا أوّل من صدقه، فلا أكون أوّل من كذب عليه).

لما كان حال القوم التي يدركها الإمام (عليه السلام) من حيث عدم استيعابهم وإدراكهم للسر الذي أودعه الله في رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) حينما أخبر أمير المؤمنين (عليه السلام) بأسرار من مكنونات الغيب التي أطلعه الله بها، فإنه قد عمد إلى توثيق كلامه وتوكيده مراعاة لمقام حالهم، ومعرفته (عليه السلام) بسوء طويتهم، وهذا من بلاغة القول عنده، وقد أدرك القدماء أساليب الكلام عند الخطباء والمتكلمين منبهين على مراعاة المتكلم للمخاطب، ينقل الجاحظ عن أحد الأعلام وهو (إبراهيم بن محمد) قوله: «يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق... ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع»[٦٦].

لقد درس أحد الباحثين المحدثين هذه القضية مبينًا تنبيه القدماء إلى تحقق الفهم عبر ما اشترطوه من توافر وسائل وعوامل تعد واسطة ومعينًا إلى ذلك في النص مراعاة للمخاطب[٦٧]. فإذا كان المخاطب خالي الذهن وكان شاكًا في الأمر فيؤتى بوسائل تفيد الإقناع وتوصل إلى اليقين من ذلك المؤكدات الكلامية كما هو محقق في النص الشريف.

أما المنجز الكلامي الآخر في خطابه (عليه السلام) فهو الاستفهام المصحوب بالهمزة والفعل المضارع (أتراني) المتعدي إلى ياء المتكلم، الذي نلمح فيه التعجب والاستغراب لما في الأمر من أهمية بالغة على نفس

المتكلم، وهو الكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو الذي أول من صدقه، وقدم نفسه فداء لرسالته وبعثته الشريفة، ويمكن أن يخرج الاستفهام هنا إلى الإنكار على أولئك الشاكين الطاعنين، وكذلك يمكن أن يعطي معنى التقرير؛ لأن المستفهم واثق ومتيقن بذلك، وكذلك يكون الاستفهام هنا مفيدا للتقرير من جهة الأعداء، إذا أردنا أن نفسر أنهم يعلمون ويطمئنون بهذه الشخصية العظيمة التي لا تأخذها في الله وفي الحق لومة لائم، ولكن مكابرتهم تقودهم وتمنعهم من أن يسلموا له.

لقد ورد التعبير بصيغة الاستفهام للفعل (رأى) في القرآن الكريم كما هو في قوله تعالى في سورة الماعون: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ [الماعون: ١] وقد الح الدارسون إلى دلالات هذا التعبير في السياق القرآني من الاستفهام، إذ هو يثير في نفس الغافلين هزة وإثارة لما فيه من المبالغة في التعجب والعمل على تنبيههم، وكذلك إظهار الأمر ووضوحه، ولعل الفعل (أرأيت) مناسب في الاستعمال في الأمور الظاهرة الواضحة المشاهدة والمعاينة[٦٨].

استنهاض أصحابه بتذكيرهم برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

يُظهر أمير المؤمنين (عليه السلام) الإيمان الراسخ بالرسالة الحقّة في تذكير أعدائه مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشدّة بأسه، يقول «**ولَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) نَقْتُلُ آبَاءَنَا وأَبْنَاءَنَا وإِخْوَانَنَا وأَعْمَامَنَا، لا يَزِيدُنَا ذلِكَ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا...**»[٦٩].

إن أمام الإيمان بالله تسقط كل الاعتبارات من القرابة وغيرها؛ إذا كانوا كافرين بالدين الحنيف. وفي هذه الموازنة بين الموقفين موقف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته، وموقف

بعض صحابة أمير المؤمنين (عليه السلام) يتجلى إثارة الآخر واستنهاض همته، وليقينه ببطلان ما يدعون، وكذب ما يفترون عليه جاء كلامه الشريف حجة تدمغهم، وهو قوله (عليه السلام): «**أَبَعْدَ إِيمَانِي بِاللهِ وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم)، أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ! لَقَدْ ضَلَلْتُ إذا وما أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**»[٧٠].

وهذا استفهام إنكاري، وهو يحتج بإيمانه الراسخ بالله سبحانه، الذي بدأ فيه بالإيمان بالله؛ لأنه أول من صدقه وغمر قلبه به، وقد قدم لأجل هذا الإيمان كل ما يملك في هذه الدنيا حتى استقام الإسلام بسيفه، إذ إنه بذل مهجته بذات الله بعدما كشف الهموم والغموم عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته كلها، مما حدا به أن ينكر عليهم ما تقولوه عليه، وهو الإمام المنصوص عليه، والسابق المقدم، وهم يريدون أن يشهد على نفسه، وهذا مما لا يقبله عقل، وفي هذا النص الشريف نراه يتحول خطابه من الكلام مع نفسه الشريفة وإيمانه وجهاده مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مواجهتهم ومباشرتهم بالخطاب عبر الأمر الصريح بضمير الخطاب يقول «**فَأَبُوا شَرَّ مَآبٍ وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ**»[٧١]، ليتخذ من ذلك رادعًا على سوء فعلتهم، وخسيس أفعالهم، وفي عبارته هذه تحذير وخيم، ووعيد شديد، لما سيؤول إليه حالهم، فهو ينبؤهم بشر يؤول اليهم، وهو رجوعهم على الأعقاب، أي إنهم يرجعون إلى ما كانوا عليه هم وآباؤهم.

لقد جاءت الألفاظ فيها منسجمة موائمة، فقد اشتق المصدر (مآب) ويعني العودة والرجعة من الفعل الأمر المتقدم (فأبوا) وقد اكتسبت هذه الحالة السيئة شدة وقوة من الاسم المضاف وهو أفعل التفضيل

(شر) الذي أسندت إضافته إلى المصدر، فهو أقصى غاية لهذا الرجوع أو المال، وكذلك عطفت العبارة الثانية (وأرجعوا على أثر الأعقاب) لتوكيد الكلام السابق لها وتقويته، فألفاظها تدل على الانتكاس والرجوع والقهقرى إلى الخلف والوراء، مما يدل على العمى والعتمة والتيه والضلال وهي أشياء تقف مجتمعة أمام القوم فتمنعهم التقدم نحو الإمام والمستقبل والانفتاح على الحياة، وإعمام الخير والنفع، وقد جاءت الإضافة في قوله (عليه السلام) (أثر الأعقاب) شديدة قوية مؤثرة في نفوسهم راجعة بهم إلى العهد الأول، محققة معنى بالغًا في الدقة؛ لأن اللفظين (الأثر والعقب) يعني كلاهما الرجوع إلى الشيء، عن طريق ذلك. فقد اتحد المعنى وقوي بإضافة أحدهما إلى الآخر، فاندمج الاسمان بهذا المعنى الدقيق، ولشدة ارتباطه مع الله وذوبانه في ذاته واقترانه وارتباطه الشديد برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي لا ينفك عنه في أيّ حال من الأحوال، وهو في كل هذه الأمور يُفترى عليه، نجده يضمن خطابه ذلك على القوم لسوء فعلهم، كما جاء في قوله (عليه السلام): «**أَصابَكُمْ حاصِبٌ، وَلاَ بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ، أَبَعْدَ إِيمَانِي بِاللهِ وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ، لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**». فحينما يعلم متيقنًا وقاطعًا في الأمر بما انطوت عليه نفوس القوم تجاهه، يدعو عليهم بالزوال والفناء بقوله: «**أَصابَكُمْ حاصِبٌ، وَلاَ بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ**». والحاصب هو «الريح الشديد التي تثير الحصباء»[٧٢]، وجاء تعبيره (عليه السلام) في قوله: «**أَصابَكُمْ حاصِبٌ**» داعيًا عليهم بالهلاك والفناء والإبادة؛ لأنه قد انقطع رجاؤه منهم، ومن رجوعهم إلى طريق

الهدى، وقد جاء الدعاء بصيغة الفعل الماضي، وإن كان الدعاء يفيد الاستقبال، لكنه (عليه السلام) عبّر بالماضي، لأن صورة الهلاك قد حلّت ووقعت بهم، وانقطع أمرهم، وصار فيهم متحققًا، وكأن في هاتين العبارتين يلمح فيهما التمني باستئصالهم إذ بلغ هذا الدعاء عليهم مبلغًا قويًا فجاء بأشد وطأة عليهم، أي أراد ألاّ يبقى منهم باقية، وقد روي لفظ (آبر) في قوله (عليه السلام) «ولا بقي منكم آبر» أو (آبر)، والآثر هو من قولهم «رجل آبر للذي يأبر النخل، أي يصلحه»، ورواية (آثر) الذي رجحها ابن أبي الحديد فيراد به الذي يأثِر الحديث، أي يرويه ويحكيه[٧٣]، وتقدمت عبارة (أصابكم حاصب) على عبارة (ولا بقي منكم آبر)؛ لأن الأولى سبب في الثانية؛ ولأن الفناء الواقع عليهم هو بسبب الريح العاصف التي تثير الحصباء، إذ إنها تحدث ثم يقع العذاب عليهم ولعل في العبارة الثانية ما يؤثر عن العرب (لا بقي منكم آبر) مثل يراد به الاستقصاء في زوال الشيء، والزيادة فيه والمبالغة في القول، وقد استعمل القرآن (الحاصب) في الأقوام المرسل عليها العذاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤].

الارتباط الوثيق برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

في خطابه (عليه السلام) الموجه إلى أصحابه بَيّنَ قرابته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وانتسابه إليه، يقول (عليه السلام): «اعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللهِ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ»[٧٤]، يريد بذلك تثبيت قلوب الجند الذين يواجهون العدو، فيجلب عليهم الطمأنة والسكينة، والثبات ويعلمهم بموضعهم من الحق؛ لأنهم يدافعون عن إعلاء كلمة الله فيذكرهم بالقرابة النسبية والروحية من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله: «وَمَعَ ابْنِ عَمِّ

رَسُولِ اللهِ» لما هو وارد في ذلك من الأحاديث الشريفة في حقه كحديث المنزلة.

وبسبب ما وقع على أمير المؤمنين (عليه السلام) وأهل بيته من حيف ومشقة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنهم يشعرون بالوحشة فهو يتوجه برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الدعاء، فيقول «اللّهُمَّ إنّا نَشكو غَيبَةَ نَبِيِّنا»[٧٥]، إذ يريد بقوله هذا إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أمانًا بينهم وبين المسلمين، حيث يقولون «كنا إذا اشتدت الحرب نلوذ برسول الله».

فحضوره (صلى الله عليه وآله وسلم) بينهم كان يمدهم العزيمة والقوة مع الصحابة المصطفين ولا شك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حاضر في نفس أمير المؤمنين (عليه السلام)، بل هو نفسه التي بين جنبيه؛ لأنهما نفس واحدة كما عبّر القرآن الكريم ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

إبراز مواقف أمير المؤمنين (عليه السلام) عبر مواقفه مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

قال (عليه السلام): «ألا وإنّ من أعجب العجائب أنّ معاوية بن أبي سفيان الأموي وعمرو بن العاص السمي أصبحا يحرضان الناس على طلب الدين بزعمهما، ولقد علمتم أني لم أخالف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قط بنجدة اكرمني الله سبحانه بها، وله الحمد، ولقد قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وان رأسه لفي حجري، ولقد وليت غسله بيدي وحدي، تقلبه الملائكة المقربون معي، أيم الله ما اختلفت أمة قط بعد نبيها إلاّ ظهر أهل باطلها على أهل حقّها إلاّ ما شاء الله».

الخاتمة

أراد الإمام في كلامه الشريف أن يبين مكانته ومنزلته ومقامه الحقيقي

الذي لا لبس فيه عبر مواقفه طوال حياته مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في هذه المفاضلة بينه وبين أعدائه المدعين الدين والإسلام يؤكد هذه الحقيقة بمخاطبتهم بهذه المؤكدات اليقينية في قوله «**ولقد علمتم أني لم أخالف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قط ولم اعصه**»، لقد اشتملت عبارته المتقدمة على نفي المخالفة والمعصية لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولعل جملة «لم أخالفه» المتقدمة على جملة (ولم أعصه) لما فيها من الشمول والعموم، إذ قد تكون المخالفة عامة تشمل الشيء اليسير والبسيط، والشيء الكبير، أما المعصية فهي لا تصدق إلاّ على الشيء الكبير، ثم ربط كلامه بما بعده، لتكون الطاعة سببًا في بذل نفسه عنه، وهو يقيه في المواقف الشديدة العصيبة، إذ قال: «أقيه بنفسي في المواطن التي ينكص فيها الأبطال، وترعد فيها الفرائص»، وقد جعل مواقفه هذه شرفًا ومكرمة من الله قد مَنَّ الله بها عليه وهو يقدم لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه النجدة وهذا الفداء، حيث يقول «**بنَجْدَةٍ أَكْرَمَنِي اللَّه بِهَ**». ثمَّ أراد أن يبين قربه الروحي والنسبي منه (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو لم يغادره، بل هو ملازم له، وهذا ما أكدته كتب السير والحديث في ملازمته له.

ما دونته وأثبته في هذا البحث إنّما هو الشيء القليل من كلام أمير المؤمنين (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيان المنزلة والمقام الرفيع، الذي أردنا أن نشير عن طريقه إلى المرتبة العالية والمنزلة الرفيعة في النهج المبارك عن طريق اللغة وعلاقاتها وترابط أجزائه.

الهوامش:

(١) الخطاب الحجاجي لأهل البيت (عليهم السلام) في كتاب الاحتجاج- دراسة تداولية ٤٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ١٣٩- ١٤٢.

(٣) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص): ٢/ ١١٠٩.

(٤) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١٥٥.

(٥) راجع الآيات في: الكهف: ١، مريم: ٢، البقرة: ٢٢١، ق: ٨.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ١٤٢.

(٧) الفروق اللغوية: ٢٩٩.

(٨) التحليل النحوي أصوله وأدلته: ٢٥٩.

(٩) البلاغة والأسلوبية: ٢٣٥.

(١٠) ينظر: نظرات في قضايا اللغة العربية: ٥٨- ٥٩.

(١١) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ١٤٢.

(١٢) الفروق اللغوية: ٣٤٨.

(١٣) ديوان الأدب (فعل يفعل): ٣٦٤، وينظر: اللسان (لمع): ٨/ ٣٢٤، الفروق اللغوية: ٣٥٠.

(١٤) ديوان امرئ القيس: ٧٢.

(١٥) الفروق اللغوية: ٣٥٠.

(١٦) ديوان الأدب (فعل- يفعل): ٣٦٣.

(١٧) اللسان (صدع): ٨/ ١٩٤- ١٩٦.

(١٨) التحليل النحوي، أصوله وأدلته: ٢١١.

(١٩) الكشاف: ٢/ ٣١٤.

(٢٠) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ١٤٢.

(٢١) بناء الجملة العربية: ٦١.

(٢٢) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١٧٦- ١٧٧.

(٢٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ١٤٢.

(٢٤) عمدة الحفاظ: ٤/ ٧٠ (مثل).

(٢٥) التقابل الجمالي في النص القرآني- دراسة جمالية فكرية وأسلوبية: ١٤٣.

(٢٦) المصدر السابق: ١٥٣- ١٥٤.

(٢٧) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ١٤٢.

(٢٨) ينظر: البلاغة والأسلوبية: ٢٨٤.

(٢٩) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ١٤٢.

(٣٠) اللسان: ٥/ ١٩٣ (نجر).

(٣١) مفردات ألفاظ القرآن: ٨٨.

(٣٢) التقابل الجمالي في النص القرآني- دراسة جمالية فكرية وأسلوبية: ١٦٦.

(٣٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ١٤٣.

(٣٤) جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم: ١٧٩.

(٣٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ١٤٤.

(٣٦) ينظر: المصدر نفسه ١/ ١٤٦.

(٣٧) المصدر نفسه: ١/ ١٤٤.

(٣٨) مسند أحمد بن حنبل: ٣/ ١٤؛ وينظر:

صحيح مسلم: ٧/ ١٢٢- ١٢٣؛ ونيل الأوطار: ٢/ ٣٢٨.

(٣٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ٢٨٣.

(٤٠) المصدر نفسه: ١/ ٢٥٣.

(٤١) ينظر: زاد المسير: ١٩٩.

(٤٢) نظم درر السمطين: ١١٣؛ وينظر: فتح الباري: ٥/ ٢٧٠؛ وكنز العمال: ١٣/ ١١٤- ١١٥.

(٤٣) الضمير بنيته ودوره في الجملة: ٩١ عن كتاب المشيرات المقامية في القرآن: ١٢٧.

(٤٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ٢٦٦.

(٤٥) استراتيجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية: ٣٥٢.

(٤٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ٢٨٤.

(٤٧) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١١٦.

(٤٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ٢٨٤.

(٤٩) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١٠٤- ١٠٥.

(٥٠) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ٢٨٤.

(٥١) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: ١٧٥- ١٧٦.

(٥٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ٢٨٤.

(٥٣) المشيرات المقامية في القرآن: ٥٦- ٥٧.

(٥٤) مفردات ألفاظ القرآن (قبض): ٦٥٢، وينظر: اللسان (قبض): ٧/ ٢١٣- ٢١٤.

(٥٥) اللسان (قبض): ٧/ ٢١٣- ٢١٤.

(٥٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢/ ١٨.

(٥٧) المصدر نفسه: ٢/ ١٨.

(٥٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢/ ٩٦.

(٥٩) نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال: ٦٨.

(٦٠) مفردات ألفاظ القرآن: ٤٣٦ (سوق) واللسان: ١/ ١١٦ (سوق).

(٦١) ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١٥٢- ١٥٣.

(٦٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢/ ٢١٢.

(٦٣) المصدر نفسه: ٢/ ٢٢٣.

(٦٤) توجيه اللمع: ٢٥٠- ٢٥١.

(٦٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢/ ٢٢٤.

(٦٦) البيان والتبيين: ١/ ٨٧.

(٦٧) ينظر: السياق والمعنى- دراسة في أساليب النحو العربي: ١٣٦.

(٦٨) ينظر: تفسير سورة الماعون: ٢٩- ٣٠، ومقاصد التعبير القرآني- دراسة في قصار السور: ٤٤- ٤٦.

(٦٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢/ ١٩٠.

(٧٠) المصدر نفسه: ٤/ ٩٨.

(٧١) المصدر نفسه: ٤/ ٩٨.

(٧٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤/ ٩٨.

(٧٣) المصدر نفسه: ٤/ ٩٨.

(٧٤) المصدر نفسه: ٥/ ١٣٦.

(٧٥) المصدر نفسه: ٥/ ١٤٩.

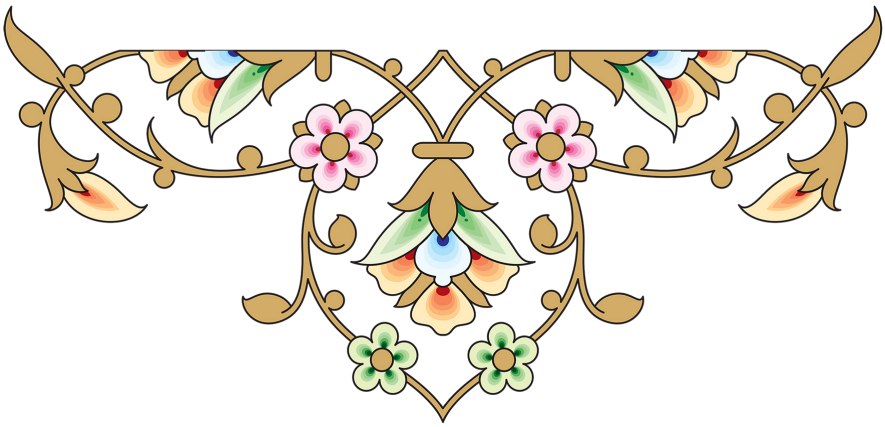

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب لجديد- بيروت (ط١) ٢٠٠٤م.

- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية (تأسيس نحو النص)، محمد الشاوش، المؤسس العربية- تونس (ط١) ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

- البلاغة والأسلوبية- محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان- القاهرة (ط٣) ١٩٩٤م.

- بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب- القاهرة، ٢٠٠٣م.

- البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي- بالقاهرة (ط٧) ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

- التحليل النحوي- أصوله وأدلته، د. فخر الدين قباوة، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان- القاهرة (ط١) ٢٠٠٢م.

- تفسير سورة الماعون- السيد جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات- بيروت (ط١) ١٩٩٩- ١٤١٩هـ. ق.

- التقابل الجمالي في النص القرآني- دراسة جمالية فكرية وأسلوبية، د. حسين نعمة- دار النمير- دمشق (ط١) ٢٠٠٥م.

- توجيه اللمع، أحمد بن الحسين بن الخباز، تحقيق فايز زكي محمد، دار السلام- القاهرة (ط٢) ٢٠٠٦.

- جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان- القاهرة (ط٣) ٢٠١٠م.

- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي- بيروت (ط٢) ٢٠٠٧م.

- الخطاب الحجاجي لأهل البيت (عليهم السلام) في كتاب الاحتجاج- دراسة تداولية، عبد الحسن علي حبيب الناصر، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب- جامعة البصرة ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م.

- ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (٣٥٠هـ)، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، الشركة المصرية العالمية (ط١) ٢٠٠٣م.

- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف- بمصر (ط٢) ١٩٦٤م.

- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي- دار ابن حزم- بيروت (ط١) ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

- السياق والمعنى- دراسة في أساليب النحو العربي، د. عرفات فيصل مناع، مؤسسة السيّاب- لندن (ط١) ٢٠١٣م.

- شرح نهج البلاغة، لعز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد (٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار الكتاب العربي- بغداد (ط١) ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

- صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، دار الفكر-

بيروت، د. ت.
- الضمير بنيته ودوره في الجملة- الشاذلي الهيشري، رسالة دكتوراه، تونس- كلية الآداب منوبة ١٩٩٨م، عين المشيرات المقامية في القرآن- منى الجابري، الانتشار العربي- بيروت (ط١) ٢٠١٣م.
- علم لغة النص- المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان- بالقاهرة (ط١) ١٩٩٧م.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ- معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت (ط١) ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (٤٠٠هـ) تعليق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت (ط٤) ٢٠٠٦م- ١٤٢٧هـ.
- فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة- بيروت، د. ت.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت (ط٢) ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
- كنز العمال، المتقي الهندي، ضبط الشيخ بكر حيّاني- مؤسسة الرسالة- بيروت، د. ت.
- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور- دار صادر- بيروت (ط٦) ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
- مسند أحمد بن حنبل، دار صادر- بيروت، د. ت.
- المشيرات المقامية في القرآن، منى الجابري، دار الانتشار العربي- بيروت (ط١) ٢٠١٣م.
- مفردات ألفاظ القرآن- الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، انتشارت ذوي القربى، قم (ط٣) ١٤٢٤هـ.
- مقاصد التعبير القرآني- دراسة في بعض قصار السور القرانية، د. فاخر هاشم الياسري، دار الحامد- الأردن- عمّان (ط١) ٢٠١٦م- ١٤٣٧هـ.
- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية- د. مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان- القاهرة (ط١) ١٩٩٧م.
- نظرات في قضايا اللغة العربية، د. فاخر هاشم الياسري، دار الحامد- الأردن- عمّان (ط١) ٢٠١٦- ١٤٣٧هـ.
- نظرية النصّ من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، الدار العربية للعلوم- ناشرون، منشورات الاختلاف (ط١) ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- نيل الأوطار، الشوكاني، دار صادر- بيروت، د. ت.
- نظم السمطين- الزرندي الحنفي، القسم العام (ط١) ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م.